

شرح الأربعين نوية

الحديث الثالث والعشرون .

[عن أبي مالك الحارث بن الأشعري B قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطهور شرط الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو : فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها] رواه مسلم .

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام والدين أما الطهور فالمراد به هنا الفعل - وهو بضم الطاء - على المختار .

واختلف في معناه : فقليل : إن الأجر فيه ينتهي إلى نصف أجر الإيمان وقيل : المراد بالإيمان هنا الصلاة قال تعالى { وما كان الله ليضيع إيمانكم } والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر ولا يلزم في الشطر أن يكون نصفاً حقيقياً وقيل غير ذلك وأما قوله [والحمد لله تملأ الميزان] فمعناه : أنها لعظم أجرها تملأ ميزان الحامد لله تعالى وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها وكذلك قوله [وسبحان الله والحمد لله تملآن - ما بين السماء والأرض] وسبب عظم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والإفتقار إليه وقوله [تملآن أو تملأ] ضبطه بعضهم بالتاء المثناة فوق وهو صحيح فالأول ضمير مثنى والثاني ضمير هذه الجملة من الكلام .

وقال بعضهم : يجوز [يملآن] بالتذكير والتأنيث أما التأنيث فعلى ما تقدم وأما التذكير فعلى إرادة النوعين من الكلام وأما [تملأ] فيذكر على إرادة الذكر وأما قوله A : [والصلاة نور] فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهاي عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به وقيل : معناه أن يكون آخرها نورا لصاحبها يوم القيامة وقيل : إنها تكون نورا طاهرا على وجهه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء بخلاف من لم يصل والله أعلم .

وأما قوله A : [الصدقة برهان] فقال صاحب التجريد : معناه أنه يفرع إليها كما يفرع للبراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت له صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول : تصدقت به وقال غيره : معناه أن الصدقة حجة على إيمان فاعلها لأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقد أنها فمن تصدق استدل بصدقته على قوة إيمانه والله أعلم .

وأما قوله A [والصبر ضياء] فمعناه : الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى والصبر على معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكارم في الدنيا

والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئاً به مهتدياً مستمراً على الصواب .
قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقيل : الصبر هو الوقوف مع
البلاء بحسن الأدب وقال أبو علي الدقاق C : الصبر : أن لا يعترض على المقدور فأما إظهار
البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال A : تعالى في حق أيوب عليه السلام : { إنا
وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب } مع أنه قال : { أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين }
وA أعلم .

وأما قوله A [والقرآن حجة لك أو عليك] فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به
وإلا فهو حجة عليك وقوله [كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها] معناه : أن كل
إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها B بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال A : تعالى {
إن A اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } ومن يبيعها للشيطان والهوى
باتباعها فيوبقها أي يهلكها اللهم وفقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا بمخالفتك